رسالة الشعر

التمثال الحي

للأستاذ ابراهيم العريض

سكنتْ في الطابقِ المُظ ... لمِ من دارٍ سويّه
غادةٌ لا تملكُ القُو ... تَ ... وبالحسنِ غنيه
هيَ في الأسمالِ لكنّ ... لها رُوحًا ذكيّة
سلبتْها كلَّ شيءٍ ... غَورةٌ إلا التقيـــه
تتـــلوّى كلّما أبـ ... صرتِ الدارَ خليه
أينَ عنهـــا أبَواها ... في ظلامِ الأبدية
وأخُوها جَدّلتـــهُ ... في الوغى كفٌّ شقيه
فثوى والعَلَمُ الخا ... فِقُ يَلوى بالتحيه
كيفَ لا تبكي وهل أبـ ... قَى لها الدهرُ بقيه

خرجتْ تعثر في الذَّيْـ ... ـلِ إلى جارٍ قريبِ
عاشَ بينَ الناسِ في عُز ... لتهِ مِثـــلَ الغريب
وخطَ الشيبُ على جبْـ ... ـهتِه شِبهَ النُدوب
أينَ في الدهرِ فؤادٌ ... لم يُروّع بالخُطوب
وأتتـــهُ وهْـ ... ـلَه جِـــدَّ دَؤوب
بنحتُ الجسمَ من الصخـ ... ـرِ فيأتي بالعجيب
وراها وهي في الأسـ ... ـمالِ تمشي كالرُبيب
ومِن الجوعِ على الخدّ ... يْنِ آثارُ شُحوب
فانثنى يرمقُ ذاكَ الـ ... ـحُسنَ في صمتٍ رهيب

ودَنا من جسمِها الخـ ... ـمومِ لكن بفُتُوّه
ما هَا لم تضطربْ منـ ... ـهُ ولا خافَ دنُوّه
إنّ في عينيهِ .. لا غضـ ... ـهما ... نورَ النُبوّه
مِن هُواةِ الحُسنِ للفَنّ ... وإن غالَى غُلوه
وأحسّتْ كفّهُ تنـ ... ـتزِعُ الثوبَ بقُوه
فأرادتْ سترَ نهدَيْـ ... ـنِ حيـــاءً ومُروه
« إنّـني أنثى .. ألا تشـ ... ـعُر أنّي فوقَ هُوّه »
قالَ « كُفّي ـ أنتِ من شَيْـ ... ـبيَ في ظِلِّ الأبوه
لو تجرّدتِ مَعا الفنّ ... بعطفَيْكِ سُموّه »

فرَمتْ ما كانَ لا يَسْـ ... ـترها إلا قليـــلا
ثمّ قالت « ومتى تُطـ ... ـعمُني » ... قالَ « أصيلا »
وجثتْ بينَ يديهِ ... في تعرّيها طويلا
وهْوَ لا يُنكرُ من قا ... مَتِهـــا إلا التحُولا
فانحنى يمتحنُ الجسْـ ... ـمَ فُروعًا وأصُولا
إنّه في إطراقِها مُغـ ... ـمِضةً شيئًا مَهُولا
ثمّ لمّا سمعتْـــهُ ... فاهَ بالحكمِ جميلا
نهضتْ تبسمُ في الدمْـ ... ـعِ وقدْ سالَ مسيلا
« هلْ لهذا الحُسنِ أن يخـ ... ـلدَ بي جيلا فجيلا »

وقفت عاريةً بَيْـ ... ـنَ التماثيلِ كدُرّه
تحمِلُ الثغرَ على الضحـ ... ـكِ وفي العينَيْنِ عبره

ومضى يقدرُ بالازْ ... ميلِ فى المرمر قدرَه
لَمْ تحاول قطّ أنْ تنْ ... فِيَ جيدًا فتضرّه
لبثتْ فى وضعها ذَ ... لكَ يومًا مستميرّه
إنّهُ يعملُ للفنّ ... وهَل فيه معرّه
هِيَ لولا الجوع لم تر ... ضَ بأن تصبرَ صبرَه
وهْوَ فى عالَمه ... لو يُدرِكُ العالَمُ سِرّه
نظرةً يُلقِي عليها ... وعَلَى المرمرِ نظره

مالَتِ الشمسُ إلى الغر ... بِ وما زالَ مُجِدّا
واستحالَ المرمرُ المس ... مُونُ حتى صارَ قدّا
فانحنتْ من كفّها أذ ... لّةٌ تُسْنِدُ خدّا
فانجلى الصدرُ وفوّقَ ال ... صدرِ شيءٌ يتحدى
واستدارَ البطنُ فى طَيّ ... يه أحسنَ جِدّا
قالَ « لولا الجوع لم يَبْ ... لُغْ من الغادةِ حدا »
ثمّ مَدّ الراحةَ اليُ ... سرى على الفخذين مدا
فأطالَ الساقَ حتى ... شارفتْ فى الكعبِ ضدا
وبَرَاها قدمًا يحْ ... لُو لها أن تستبدّا

ودَجا الليلُ ... فلم يُلْ ... قِ إلى الفـادةِ بالا
غايةُ الفنّانِ أن يبـ ... ـلُغَ بالفنّ كمالا
فطوَى الشعرَ على الرأ ... سِ كموجٍ يتوالى
فجلا الجبهةَ غرّا ... ءَ كمرآةٍ تلالا
فأرَى لمحةَ عينَيـ ... ـنِ تُطيلانِ السؤالا
فلوى فى جانبِ الأذْ ... نِ مِنَ الصُّدغ هِلالا
وأقامَ الأنفَ كالإبـ ... ـرةِ حُسنًا واعتدالا
ثمّ لما جاء الثغْـ ... ـرَ رأى فيه احتمالا
قالَ « لو يفترُّ هذا الثغرُ لازدادَ جمالا »
وإذا بالصوتِ.. صوتِ الـ ... ـمديكِ صُبحًا يتعالى

تمّت الدُّمْيةُ لا يَنـ ... ـقُصها غيرُ الحوارِ

فانثنى يضحكُ للغا ... دةِ فى شِبْهِ اعتذار
« أنظرِى صُنعَ يدى فيـ ... ـهِ وَ جدِيرٌ باعتبار »
« إنّها مُهجرةٌ خا ... لِدَةٌ مثلَ النهار »
ورآها لم تحرّك ... شفةً ... والجسم عار
فدَنا منها وفى أضـ ... ـلُعِهِ جَمْرةُ نار
وإذا بالخدِّ فى مَو ... ضِعِها مثلَ السوَارى
جسدٌ من غيرِ رُوحٍ ... مُستعِير فى انتظار
إنّما الثغرُ كما يهـ ... ـواهُ فى حالِ افترار

وانحنى بينَ يدَيْها ... باكيًا سُوءَ مآلِهْ
وطوَى حاشيةَ الثوْ ... بِ علَيها فى اعتلاله
« أنا أدعُوكِ.. وهل يسْـ ... ـمعُ ميتٌ صوتَ واله »
« أنا أفديكِ.. وهل يجْـ ... ـدِيكِ شيْبِى فى ابتهاله »
ثمّ ألقى نظرةً حا ... ئرةً نحوَ مثاله
فرآهُ يُحدقُ الطرْ ... فَ ولا يَرْثِى لحاله
فأتى فى اليأسِ أمرًا ... لم يكُنْ قطّ ببـاله
إذ رَمى قِطعةَ صَلْـ ... ـدٍ شوّهتْ بعضَ جماله
رمضى يعثرُ بالشى ... ءِ ويهذى فى اختباله

وقفَ العالِمُ ما بيـ ... ـنَ الجماهيرِ خطيبا
قالَ « تروِى بعثةُ الشرْ ... قِ لنا أمرًا عجيبا
بينَما كانوا يجوبو ... ن الصحارىَّ جَنُوبا
عثرُوا فيها بتمثـ ... ـال سأجلوه قريبا
يعلمُ اللهُ لئن ألـ ... ـفِيَ فى الزندِ معيبا
فهْوَ ما زالَ على العَيـ ... ـبَةِ يستدمِى القلوبا
إنّهُ أجملُ تمثـ ... ـال لحسناء أصيبا
وأزاحَ الستْرَ عنهُ ... فاستهلّ الكلُّ صوبى
خلّدتْ فى المرمرِ الصلـ ... ـدِ يدُ الفنّ حَبيباً

« البحرين »

ابراهيم العريض